الصيغ السياسية التى طرح منها جانبا أبو الطيب حول شخص كافور كحاكم يحدد إقامته فى مصر :

جوعان يأكل من زادى ويمسكنـــى لكى يقال عظيم القدر مقصـــود

وليتخذ الشاعر من الهجائية مدخلا إلى شرح طبيعة السياسة كما عرضها وقتئذ ، وقد آلت إلى صور من الخديعة والخيانة :

أكلما اغتال عبْدُ السوءِ سيِّـــدَه أو خانَهُ فله فى مصر تمهيـــد؟!

ثم يتسع لديه الإطار التصويرى ليمس القوم جميعا ، إذ يراهم نياما ينتظرون من يستثيرهم ويستنفرهم من مثل قوله :

نامت نواطيرُ مِصْرٍ عن ثعالبهـــا فقد بشمن وما تفنى العناقيـــد

حتى إذا ربط الصورة بطموحه المهترئ صراحة قال :

أصبحْتُ أرْوَحَ مُثْرٍ خَازناً ويـــدا أنا الغنىُّ وأمَوالى المواعيـــد

وربما بدت على السطح ضروب هجائية أخرى تلفت النظر ، وتستحق مزيداً من التأمل ، ربما لندرتها أو لطرافتها ، كأن يهجو الشاعر قومه فى الجاهلية أو فى فترة الخضرمة ، وهو موقف يظل غاية فى الندرة ، وكأنه يعكس - بصدق - طبيعة البعد النفسى للشاعر فى عتابه لقومه على نحو ما حدث من قُرَيْط بن أُنَيْفْ فى هجائيته لقومه بنى العنبر[1] . وكذا كان ما وقع من عبد يغوث بن وقّاص الحارثى حين ضاق صدره بقومه فراح يعتب عليهم هاجيا بسبب أسره وإهمالهم له فيه وهو لم يفر من القتال [2] .

بل ربما هجا الشاعر زوجته ، أو ربما قصد بهجائه شاعراً آخر وقف ضدَّه أو سرَق شعره ، على نحو ما صنعه ابن الرومى فى كثرة من هجائياته للبحترى على سبيل المثال ، أو ما رصده من صور ضيقه بابن المعتز وشعره ، وتحُّوله إلى هجاء له ولصوره ، أو انصرافه إلى مشاهد كاريكاتورية ساخرة عرف بها على طريقته فى تصوير بخل مهجوه قائلا :

يُقَتِّر عيسى على نفســـــه وليس بباق ولا خالـــــــد

ولو يستطيع لتقتيـــــــره تنفُّس من منخر واحـــــــد

---

(١) ديوان الحماسة لأبى تمام ١/١٣-١٥ .

(٢) المفضلية رقم ٣٠ فى المفضليات بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون .